

التواصل الثقافي للصورة المرئية



■ تتجه صناعة الصورة المرئية نحو تكوين مجموعة من المفاهيم، وتوليد منظومة من الإرساليات تقدم إمكانيات للتواصل عبر متواлиة مرئية لها القدرة على تشكيل إدراكات جديدة حول ظاهرة معينة، أو تكوين فكرة حول قضية مخصصة. ويعتمد الشكل الخطي للصورة المرئية على تحقيق وظائف تسهم في تقديم التجسيد المرئي للإرساليات المتعددة التي تمثلت بصيغ مشهدية، وصور متراكبة يظهر عليها التتابع المنطقي للدلالة، لكنها تشتمل على صيغ التفكك المتعلق بميزة كل^٣ صورة وخصوصيتها. ويمكن تحديد تلك الوظائف بـ(الانتقائية، والسلطوية، والتأثيرية، والحركية، والتواجد الكثيف، فضلاً عن الدلالات التواصلية). لقد تحول^٤ الشكل اللقطي البطيء مع الصورة التقليدية إلى شكل خطابي مرئي متتسارع مع الصورة الحديثة، إذ^٥ها صور ذات فاعلية في الإنتاج والتأثير، ولذلك فإن^٦ مستقبل الخطاب الثقافي سيكون مرهوناً بما تقدمه هذه الصور، وسيبقى منفعلاً في أُطر ما تحدده في ميدان المعرض من النتاج المرئي.

نلاحظ أن^٧ التواصل الثقافي من خلال نموذج الصورة المرئية التي أحدثت إنقلاباً في مسار التأثير الإدراكي، وأوجدت قاعدة مهمة من البيانات القصدية لتوجيه الرأي في مسار مخصوص، وقدمت معالجاً لها

ومعطياً لها من خلال صور متتابعة ومتوالبة، تحمل بطاقة منوعة من الدلالات مثلّت بمجملها نشاطاً إنسانياً ينتمي إلى فلسفة وبيئة مخصوصتين.

حملت الصورة المرئية على عاتقها مهم كسر الحاجز الثقافي ابتداء، وتمثل المسكون عنه في أبجديات العالم الإنساني، إنّه عصر الصورة بلا منازع، عصر يحيل السواد ضياء، ويمنح التفتيت عمراناً، إنّها سلطة تواصلية يعكف على صياغة مشهدنا لفيف من خبراء التوابل والتكنولوجيا معاً، ليتم تقديم مشاهد بلاغية إرسالية تحفظ الوجود وتغيره حسب ما تراه مناسباً في عصر غدت الغاية فيه مرئية، والصيغ التعبيرية مرئية، والنوسق الثقافي مرهون بعملية إنتاج مرئي، وبذلك عُدت الصورة نشاطاً إنسانياً وجودياً.

إنّ الخطاب الذي تشكله الصورة المرئية هو خطاب متحرك يتعلق بقدرة العين الباقر على تحليل مكونات هذا الخطاب وتصور غياته، لذا فإنّ الوظائف الإنتاجية لهذه الصورة مرتبطة بما تكتسبه العين من مشاهد متولدة بلا توقف، وعليه فإنّ للمدرك الحسي العياني وظيفتين:

- المهمة الأولى: تتعلق بتلقي رموز الصورة وإيصالها إلى الدماغ لتفسيرها وإعطاء دلالتها.

- المهمة الثانية: إدراك ما يناسب من الصور الكثيرة والمتوالية التي تم الاقتناع بمحتواها.

ويشكل هذا الإدراك سلاح ذو حدين فهو تعطيل وتفعيل، فقد تقبل العين إدراك المنتج الموري بكلّ أبعاده وتفاصيله وبشكل مباشر دون تمحیص أو وقفه تأمل، أو قد تدرك غائبات هذه الصور فتبدأ بملائحة رموزها، وكشف ما خفي من دلالتها.

وحديراً بالذكر أنّ الصورة المرئية تكتسب خصيصة مهمة وهي سمة الإيقاع المتتسارع في عملية تقليل المشاهد، إذ لو غابت العين الباقر عن مشهد لفقدت جزءاً قد يكون مهماً لتفسير حدث أو فهم حركة لشخصية ما، وعليه فإننا نتجه بالقول إلى أنّ هذه الحركة تؤسس لفرضية المعرفة المجزأة من جهة، وتحقق سمة الالكتفاء بالطرح العلمي والثقافي في هذه المشاهد - تحديداً - من جهة أخرى، وبذلك تسهم الصورة في تحجيم الحقل العلمي، وتقنين المكتسب المعرفي، وحصر المعلومة، والتدخل في كمية المعلومات المعطاة للمتعلّقين، ويساعدها في ذلك السمات الإخراجية، والعناصر الفنية، وتقنيات الحاسوب، وحركات المكان وتغييرات الزمان، وفنية الضوء والظل... إلخ.

ينظراليوم إلى الصورة على أنّها مملكة ثقافية تحمل في طياتها منظومة إرساليات موجهة بقصدية وتحيز، إذ لا براءة في صناعة الصورة ولا فنية خالصة في صياغتها، وقد استثمرت هذه القضية في تقديم ثقافات الشعوب وطراائق تفكيرها، وبيان نظم عيشها وشرح أبعاد معتقداتها ونشر لغاتها وتفسير تبنيها لقضية معينة ورفضها لأخرى، فضلاً عن الجانب الإشهاري لهذا البلد أو ذاك، وعليه فقد حاولت كثير من الدول استغلال هذه القضية وتوجيهها بما يتناسب مع القضايا الوطنية والقومية.►

المصدر: كتاب قضايا النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق

الكاتب عميد في كلية اللغات/ جامعة المديونة العالمية - ماليزيا